جامعة الأزهر
كلية الشريعة والقانون بأسيوط
المجـــلة العلميـــة

دلائل وجود اللّه تعالى
في
سورة هود

إعداد

د/ حنان عطية الله ضيف الله المعبدي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بجامعة أم القرى

(العدد الثالث والثلاثون الإصدار الأول يناير ٢٠٢١م الجزء الأول)

دلائل وجود الله تعالى في سورة هود

حنان عطية الله ضيف الله المعبدي.

قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: hamoabadi@uqu.edu.sa

الملخص:

إن موضوع البحث هو: ذكر دلائل وجود الله تعالى في سورة هود ، وأما أهداف البحث فهي: الرد على منكري وجود الله، بإثبات وجوده من القرآن الكريم، ومنهج البحث: اتبعت فيه المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي والمنهج النقدي، وقد توصلت إلى أهم النتائج التالية:

(١) إن دلائل وجود الله تعالى تندرج تحت نوعين من الدلائل وهما: دلالة الخلق ودلالة العناية.

(٢) تناول القرآن الكريم دلائل وجود الله تعالى في غالب سوره.

(٣) اشتملت سورة هود على نوعي الدلالة (الخلق، والعناية)، وأما أهم التوصيات فهي: دراسة دلائل وجود الله تعالى في باقي سور القرآن الكريم مما يعضد بعضها بعضاً، وليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليحيى من حيّ عن بيِّنة ويهلك من هلك عن بينة.

الكلمات المفتاحية: وجود الله – دليل – الخلق – العناية – سورة – هود – المنكرين.

Evidence of Allah Existence in Sūrat Hūd

Ḥanān ʿ Aṭ ṭ yatū-Allah Ḍaifū-Allah Al-Meʿ badī
Department of Doctrine, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, KSA.
Email: hamoabadi@uqu.edu.sa

Abstract:

The research addresses the evidence of Allah's existence in the light of Sūrat Hūd. It aims to refute the arguments of the atheists who deny the existence of Allah by proving His existence based on the Holy Qur'an. The research adopts the inductive, deductive, and critical approaches. The most important conclusions of the research are summarized as follows: (1) Evidence of Allah existence are divided into two categories, namely: the evidence of creation and the evidence of care; (2) The Noble Qur'an addresses the evidence of Allah existence in most of its surahs; (3) Sūrat Hūd includes the two categories of evidence (creation and care). The most important recommendations of the research are as follows: Studying the evidence of Allah existence in the other surahs of the Holy Qur'an is necessary so that the evidence can reinforce each other, the faith of the believers can be increased, and those who were to die might die after seeing a clear proof, and those who were to live might live after seeing a clear proof.

Keywords: Allah existence, evidence -creation -care -Sūrat – Hūd - atheists.

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وبعد :-

إن أجل معلوم وأعظمه هو الله عز وجل ، فهو الرحمن الرحيم ، الحي القيوم ، الموصوف بجميع صفات الكمال ، المنزه عن كل صفات النقص ، ومع ظهور العلم به ، وكثرة الدلائل على وجوده ، إلا أن فئام من الناس فسدت فطرتهم ، وعميت بصيرتهم ، فأنكروا الواضح البين ، وجادلوا في الله تعالى ، ولا ريب أن هذا القول هو انحراف عقدي يمس أصل الإيمان وأول ركن من أركانه ألا وهو الإيمان بالله ، ولما كان كتاب الله تعالى فيه الكثير من الآيات الدالة على وجوده سبحانه وتعالى ، بأدلة دامغة ، تتميز بسهولتها ، وشدة اقناعها ، واعتمادها على المشاهد المحسوس ، وملائمتها لجميع الأفهام ، فتنفذ بنورها إلى القلوب والعقول وتضئ عتمتها ، وتزيل حيرتها . أردت الرد على هؤلاء مستندة إلى كتاب الله تعالى من خلال سورة هود .

فكان هذا الموضوع الموسوم بـ (دلائل وجود الله تعالى في سورة هود) .

مشكلة البحث :

تقوم هذه الدراسة بالإجابة على بعض التساؤلات التي تخفى على البعض ، ومن ذلك :

١- ما هي دلائل وجود الله تعالى في سورة هود ؟

٢- هل ناقش القرآن الكريم قضية إنكار وجود الله تعالى ؟

٣- كيف رد الله تعالى على المنكرين لوجوده من خلال سورة هود ؟

حدود البحث :

البحث في دلائل وجود الله تعالى من خلال سورة هود .

أهمية الموضوع :

١- أن قضية وجود الله تعالى من أهم مباحث العقيدة إذ هي الأساس الذي ينبني عليه ما بعده .

٢- الرد على منكري وجود الله تعالى من القرآن الكريم .

أهداف البحث :

١- ذكر دلائل وجود الله تعالى في سورة هود .

٢- بيان أن القرآن الكريم تناول قضية إثبات وجود الله تعالى .

٣- تقوية معتقد أهل الإيمان بوجود الله تعالى .

منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج المتبع فيه :

١- المنهج الإستقرائي : وذلك في تتبع أدلة وجود الله تعالى عند أهل السنة والجماعة .

٢- المنهج الاستنباطي : وذلك في استنباط أدلة وجود الله تعالى من سورة هود .

٣- المنهج النقدي : ويبرز في الرد على أهل الإلحاد من خلال آيات سورة هود .

إجراءات البحث :

سأقوم بإذن الله تعالى بعدة إجراءات خلال كتابة هذا البحث من ذلك :

١- جمع المادة العلمية وتوزيعها على مباحث البحث .

٢- حصر دلائل وجود الله تعالى في سورة هود .

٣- عرض كل دلالة بأدلتها ثم ذكر ما ورد عنها في سورة هود .

٤- توثيق النصوص من مصادرها الأصلية .

٥- تذييل البحث بفهارس تسهم في التيسير على الباحث وهي : فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقدمة وفصلين وخاتمة .

أما المقدمة : فقد ذكرت فيها موضوع البحث ، ومشكلته ، وحدوده ، وأهميته وأهدافه ، والمنهج المتبع في الكتابة ، وخطة البحث .

تم تقسيم البحث إلى فصلين :

الفصل الأول : دلالة الخلق على وجود الله تعالى ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : دلالة الفطرة .

المبحث الثاني : دلالة الآفاق .

المبحث الثالث : دلالة خلق الإنسان .

المبحث الرابع : دلالة آيات الأنبياء .

الفصل الثاني : دلالة العناية على وجود الله تعالى ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : العناية بإرسال الرسل ونصرهم .

المبحث الثاني : العناية بتيسير أسباب الرزق .

الدراسات السابقة :

لم أقف على رسالة أو بحث يستقل بدراسة دلائل وجود الله تعالى في سورة هود .

الفصل الأول

دلالة الخلق على وجود الله تعالى

تعريف الدلالة :

أولاً / التعريف اللغوي :

قال ابن فارس : " الدال واللام أصلان : أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها ، والآخر اضطراب في الشيء ، فالأول قولهم : دللت فلاناً على الطريق ، والدليل : الأمارة في الشيء " (١) .

وقال الجوهري : " الدليل ما يستدل به ، والدليل : الدال " (٢) .

فالدليل في اللغة هو : إبانة الشيء بأمارته الدالة عليه .

ثانياً / التعريف الاصطلاحي :

ورد لفظ الدليل في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥﴾ [سورة الفرقان : ٤٥] .

قال القرطبي رحمه الله : " فالشمس دليل ، أي حجة وبرهان " (٣) .

ورد أيضاً بلفظ (أدلكم) في آيات أخرى ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [سورة الصف : ١٠] .

فمعنى الدليل إذن في الإصطلاح هو المرشد إلى المطلوب .

فالمقصود البحث في الأدلة التي توصل إلى إثبات وجود الله وأولها دلالة الخلق

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، (٢/٢٥٩) .

(٢) الصحاح ، الجوهري ، (٤/١٦٩٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (١٣/٣٧) .

دلالة الخلق على وجود الله :

الخلق من أخص خصائص الإله الحق ، لذا كثيراً ما يمتن الله تعالى على خلقه بخلقهم ، ويقررهم بوجوده ، وربوبيته ، وأنه الإله المستحق للعبادة .

قال تعالى : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة النحل : ١٧] .

وقال سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة : ٢١] .

فكل مخلوق من مخلوقات الله تعالى يحمل في ذاته الدلالة على وجود الله تعالى واستحقاقه للعبادة ، فالمخلوقات جميعها كانت عدماً ثم وجدت بعد أن لم تكن ، وخلقها دليل على أن لها خالقاً هو الله سبحانه وتعالى . وقد وجه الله تعالى الإنسان إلى النظر في مخلوقاته السماوية والأرضية للاستدلال على وجوده وربوبيته واستحقاقه للألوهية .

قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية : ١٧-٢٠] .

بل هو الخالق لكل شيء ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الزمر : ٦٢] ، حتى الإنسان وعمله قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الصافات : ٩٦] .

ويخاطب سبحانه العقول السليمة للإستدلال على وجوده بخلقه بدليل عقلي لا يملك المنصف أمامه إلا التسليم والتصديق بوجوده سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[سورة الطور : ٣٥-٣٦] .

فهذه الحجة العقلية ساقها الله تعالى بصيغة الإنكار ليضع أمام العقل البشري احتمالات أولها : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾.

فهل يمكن لهذا الخلق الماثل أمامكم أن يخلق من العدم ؟ هذا ما ينكره العقل لأن المعدوم ليس بشيء حتى يخلق موجوداً .

ثانيها : ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أم أنتم خلقتم أنفسكم ؟

وهذا لا يمكن أن يقبله عاقل إذ أنتم عدماً فكيف تكونون سبب وجودكم وخلقكم ؟

ثالثها : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٣٦﴾﴾ .

أم أنتم الخالقون لهذا الخلق من السموات والأرض ؟ وهذا ما لم يدعيه أحد فهم أعجز من أن يخلقوا خلقاً أعظم منهم .

قال تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة غافر : ٥٧] .

فما الجواب إذن ؟ لم يذكر الله تعالى في آياته ما يجيب على هذا التساؤل إنما ترك للعقل التفكر والتدبر للوصول إلى الحق وهو أنه لابد لهذا الخلق من خالق عظيم قوي قادر مالك مدبر وهو الله تعالى .

صاغ الله تعالى هذا التساؤل بصياغة مؤثرة تهز القلوب فقد روى البخاري عن جبير بن مطعم قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب

بالطور فلما بلغ هذه الآيـــة ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[ســـورة الطور : ٣٥] كاد قلبي أن يطير " (١) .

قال الخطابي : " إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيـــه معنـــى الآية ، ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجـــة ، فاســـتدركها بلطيـــف طبعـــه ، واستشف معناها بذكي فهمه " (٢) .

ولأهمية هذه الدلالة لم تخلُ معظم سور القرآن من التأكيد عليها ومـــن ذلـــك سورة هود وفيما يأتي من مباحث صور دلالة الخلق على وجود الله تعالى .

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، ح (٤٨٥٤) .

(٢) الأسماء والصفات ، البيهقي ، (٥٥٠/١) .

المبحث الأول

دلالة الفطرة

التعريف اللغوي للفطرة :

تدور معنى هذه الكلمة في اللغة على عدة معان منها [١] :

١- الفَطْر : بمعنى الشَّقُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ ٥﴾ [سورة الشورى : ٥] وقوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [سورة لانفطار : ١] أي : انشقت .

٢- وتأتي بمعنى الابتداء والاختراع والخلق والإيجاد .

ومنه قوله تعالى : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ١﴾[سورة فاطر : ١] أي خالقهما .

وقوله تعالى : ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ ٥١﴾[سورة هود : ٥١] أي خلقني .

التعريف الاصطلاحي :

عرف الإمام القرطبي رحمه الله الفطرة بأنها : " الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله ، ويستدل بها على ربه ، ويعرف شرائعه ويؤمن به " [٢] .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، (٥١٠/٤) ، لسان العرب ، ابن منظور ، (٥٥/٥-٥٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (٢٩/٧) .

وعرفها الشيخ السعدي رحمه الله بأنها : " الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها .. فطرهم ضعفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه " (١) .

فالفطرة هي ما خلق الله الخلق عليه وهو الإسلام وهذا قول كثير من الصحابة والتابعين والسلف كابن حجر (٢) والشوكاني (٣) رحمهما الله جميعاً .

فالله تعالى خلق جميع الخلق على الإسلام وهو الإقرار بمعرفته والإيمان بوجوده وتوحيده .

الأدلة من القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى الفطرة في محكم تنزيله في آيات متعددة منها :

١- قال تعالى :﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم : ٣٠] .

فهذه الآية تصرح بوجود الفطرة ، وتأمر بإقامة هذا الدين ، واتباع أوامره والاجتناب عن نواهيه ، لأن هذا الدين هو الفطرة التي خلق الله الناس عليها .

٢ــ قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة البقرة : ١٣٨] .

قال مجاهد : " صبغة الله فطرة الله " (٤) .

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ، السعدي ، (ص : ٩٥) .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، (٢٤٩/٣) .

(٣) فتح القدير ، الشوكاني ، (٢٥٨/٤) .

(٤) جامع البيان ، الطبري ، (٦٠٥/٢) .

٣ــ قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢-١٧٣] .

هذه الآية تصور لنا مشهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى على جميع الناس وأشهدهم فيه على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى مما يؤكد تأصل الفطرة فيهم وشهادتهم على أنفسهم بوجود الله تعالى والإقرار بربوبيته وتوحيده .

الأدلة من السنة النبوية :

جاءت الأحاديث النبوية مصدقة بما جاء في الآيات من الإقرار بوجود الفطرة في جميع الناس ، ومن تلك الأحاديث :

١- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " [١] .

فهذا الحديث يؤكد أن كل مولود يولد على الإسلام ، يولد بفطرة سليمة مستقيمة ، ثم تنحرف هذه الفطرة وتتبدل بفعل والديه وتأثيرهما عليه ، ولو خلي بينه وبين فطرته لنشأ سليم الفطرة مستقيم الديانة .

٢- وفي الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً " [٢] .

---

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، ح (١٣٥٩) ، صحيح مسلم ، مسلم ، ح (٢٦٥٨) .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم ، ح (٢٨٦٥) .

فالله تعالى خلق العباد جميعاً على الحنيفية وهي الإسلام المتضمن الإقرار بوجود الله وربوبيته وحبه والتأله له ، لكن هذه الفطرة قد تتغير وتفسد بمؤثرات خارجية كالشياطين فهي من دعت الناس إلى الشرك ومخالفة ما أمروا به .

وعلى هذا فالإقرار بوجود الله تعالى والإعتراف به أمر مغروس في فطر جميع الناس ، فلا يحتاج إلى دليل ، بل هو أثبت المعارف ، وأرسخ العلوم .

وتبرز هذه الفطرة الكامنة في النفس البشرية حال ضيقه وكربه ، فيلجأ إلى الله تعالى معترفاً بوجوده ، وقوته وقهره ، وقدرته على كشف ما به من ضر . وهكذا كان حال المشركين فإنهم كانوا إذا اشتد عليهم الكرب توجهوا إلى الإله الحق ويتركون ما سواه من الآلهة لعلمهم أنه القادر وحده . وقد ذكر الله عنهم حالهم تلك بقوله :

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الإسراء : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يونس: ٢٢] .

فشدة الخوف من الموت أظهرت فطرتهم التي خلقوا عليها من التوحيد وأنه لا منجي لهم إلا الله تعالى فهو المصرف والمدبر سبحانه .

وهذا فرعون لم يمنعه عناده وقوله : (أنا ربكم الأعلى) من أن يعترف بالله تعالى ساعة ضره وهلاكه فنادى لما أدركه الغرق ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة يونس : ٩٠] .

وواقعنا اليوم شاهد على رجوع العالم إلى فطرته فمع انتشار وباء فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩) وإعلان منظمة الصحة العالمية اعتباره جائحة عاد الناس إلى ربهم ومولاهم وعلموا أن لا قدرة لهم على مواجهته إلا بالاستعانة بالله والالتجاء إليه .

فلا إله إلا الله ، فيروس صغير لا يرى بالعين المجردة أوقف العالم كله ، فخلت الشوارع والطرقات ، وانهار الاقتصاد في أقوى دول العالم ، ووقفت التقنية والأجهزة العلمية والطبية عاجزة عن إيجاد لقاح له حتى الآن فالعالم كله اليوم مقر بأن لهذا الكون مدبر قوى قادر قاهر بيده مقاليد السموات والأرض .

فهذا الإقبال من الناس حال شدتهم شاهد على وجود الله تعالى الذي أودع هذه الفطرة ودلها عليه .

دلالة الفطرة في سورة هود :

لم يرد دليل صريح على الفطرة في سورة هود ، ولكن المتأمل في قصص الأنبياء في السورة يجد أن جميع الأنبياء جاؤوا بالدعوة إلى التوحيد ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة هود : ٥٠] ولم يدعُ الناس إلى معرفة الله أو إثبات وجوده . ولم يأت عن نبي أن قومه جادلوه في وجود الله ، وهل هو موجود أم لا ؟ وذلك لأن الأصل في البشرية الإقرار بوجود الله تعالى بما خلق فيهم من الفطرة ، فهم مع شركهم مقرون بوجود الله تعالى وربوبيته ، وما أرسل الرسل إلا لتصحيح عقيدتهم في عبادة الله وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه ، فلم يكلفوا

أولاً نفس المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة ، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به وكل مولود يولد على الفطرة " [١] .

ويقول الصنعاني رحمه الله : " جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل إلا لطلب توحيد العبادة ، لا للتعريف أن الله هو الخالق للعالم ، وأنه رب السموات والأرض ، فإنهم مقرون بهذا " [٢] .

ويقول أيضاً : " فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ولم ينكروا الله تعالى " [٣] .

وفي هذا دلالة عظيمة على أن وجود الله تعالى هو أظهر الحقائق ، فقد عرّف الله تعالى نفسه إلى خلقه ، ودلهم عليه بما فطرهم عليه من الإقرار به . لذا لم يكن همُّ الأنبياء إنشاء المعرفة بالله ، فقد كانت هذه المعرفة مستقرة في نفوسهم وإنما انصرف همهم إلى تنقية إيمانهم مما شابه من الشرك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (٣٣٨/١٦) .

(٢) تطهير الاعتقاد ، الصنعاني ، (ص :٥٠) .

(٣) المرجع السابق ، (ص : ٥٥) .

المبحث الثاني

دلالة الآفاق

الآفاق : يراد بها ما في هذا الكون من السماء والأرض وما اشتملتا عليه من النجوم والكواكب والجبال والأشجار والأنهار وغيرها مما خلق الله فيهما .

فمن أعظم الدلائل على وجود الله تعالى خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٠] .

تحدث الله عنهما في اثنين وأربعين موضعاً من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٠] ، وبيّن سبحانه أنه خلق الأرض في يومين وقدر أقواتها في يومين ، وفرغ من خلق السموات في يومين ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة فصلت : ٩-١٢] .

وتعد دلالة السموات والأرض من الدلائل الحية المشاهدة أمام أعين البشر ، وتقع تحت حواسهم ، فما أيسر أن يوقن الإنسان بوجود خالق لهما متى ما نظر أعلاه فتأمل في السماء فإذا هي مرفوعة بغير عمد مما يعجز الإنسان عن مثله

في أبنيته ، محكمة البناء لا ترى فيها خلل ولا فطور ، زينها الله تعالى بزينة الكواكب ، ثم ينظر الإنسان فيما حوله من الأرض بجبالها وسهولها وبحارها وأنهارها ونباتاتها وحيواناتها ليرى صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعه ، فيوقن القلب بأن لهذا الإحكام خالقاً حكيماً عليماً .

دلالة الآفاق في سورة هود :

ورد ذكر السموات والأرض في هذه السورة العظيمة في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ [سورة هود : ٧] .

يبين الله تعالى عظمة خلق السماء والأرض وأن الله تعالى خلقهما في ستة أيام ، وكان عرشه على الماء ، فخلق العرش سابق على خلقهما ، إذ هو أول المخلوقات وأعظمها وأعلاها وهو سقف الجنة .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : " يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك " (١) .

ولعل الحكمة في أن الله تعالى خلقهما في ستة أيام " أن الله تعالى أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور ، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء " (٢) " وأن الله أراد إظهار حكمته في ذلك كما يظهر قدرته " (٣) .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٥٣٢/٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (٢١٩/٧) .
(٣) زاد المسير ، ابن الجوزي ، (١٢٨/٢) .

فبخلق السموات والأرض ، يظهر الله كمال قدرته ، وعظم سلطانه ، ومنتهى إرادته ، وبالغ حكمته ، فهل يملك أحد من البشر أن يبدع هذا الخلق العظيم بهذه القدرة والحكمة والإتقان ؟!!

وهما مع عظمتهما تمتثلان أمر الله تعالى ، قال تعالى عنهما في قصة نوح عليه السلام :﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [سورة هود : ٤٤] .

فالله تعالى أمر الأرض بعد أن فجرها عيوناً أن تبلع الماء الذي على سطحها ، وأمر السماء أن تمسك قطرها فاستجابتا لأمر الله ، فجف الماء وقضي أمر الله بهلاك قوم نوح عليه السلام ، وأنجى الله أصحاب السفينة .. فلله الأمر من قبل ومن بعد .

المبحث الثالث

دلالة خلق الإنسان

من أوضح الدلائل الدالة على وجود الله تعالى هي دلالة خلق الإنسان إذ يجتمع فيها الدليل والمستدل . فهذا الدليل يشترك فيه جميع الناس ، فهم المستدلون ، وهم أنفسهم الدليل والبرهان والآية .

ولذا وجه الله تعالى الإنسان إلى النظر في خلقه نظر اعتبار وتفكر ، وتأمل وتدبر ، قال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [سورة الطارق : ٥] ، وقال سبحانه : ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [سورة الذاريات : ٢١] .

فهذه النفس البشرية تحمل دلائل وبراهين وجود الله تعالى ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها " [١] .

صور دلالة الإنسان على وجود الله :

١- خلقه طوراً بعد طور :

خلق الله تعالى الإنسان عبر مراحل يمر بها حال وجوده في رحم أمه ، وحال خروجه إلى الدنيا ، لتكون له تلك المراحل التي يراها ماثلة أمام ناظريه في نفسه وغيره آية على الخالق الذي صوره .

وقد ذكر الله هذه الآية في قوله :

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (٢٨٢/٤) .

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة غافر : ٦٧] .

في هذه الآية يبصِّر الله تعالى الإنسان بمراحله التي يمر فيها وهو في رحم أمه إلى أن يأذن بخروجه طفلاً مكتمل الأعضاء ، فمن الذي يأذن بتغير هذه الأطوار ؟!! واليوم مع تقدم العلم ، والأجهزة الطبية تبينت قدرة الله وعظمته في خلق إنسان يحمل بداخله مجموعة من الأجهزة الدقيقة التي تقوم بوظائفها على أكمل صورة ، من نطفة وهي قطعة الدم التي تتطور إلى مضغة وهي قطعة اللحم ثم إلى علقة تتعلق في جدار الرحم ثم تنمو وتتطور إلى أن يكتمل الجنين ثم يخرجه الله طفلاً ضعيفاً لا يملك من أمره شيئاً ، ثم يكبر حتى يبلغ أشده علماً وقوة ، ثم يكون شيخاً يتقدم به العمر إلى أن يعود إلى حاله من الضعف والعجز ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الحج : ٥] ومنكم من يتوفى من قبل الوصول إلى هذه المرحلة .

هذه الأطوار تمر على الإنسان بإذن الله تعالى ، فلا يملك الإنسان أن يوقف تقدم العمر به ، ولا يملك أيضاً أن يختار المرحلة التي يقف عندها . بل الأمر كله بيد الله ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى ﴿٦٧﴾﴾ [سورة غافر : ٦٧] أجلاً كتبه الله تعالى وقدره على الناس جميعاً ، وهذا التغير الذي يقع في مجال الجبر من حياة الإنسان يظهر ضعفه أمام قهر الله لعباده وقدرته عليهم ، ثم يأتي هذا المخلوق الضعيف يجادل في الله وفي وجوده !!

٢- حُسن خلقته :

خلق الله تعالى آدم بيده وصوره فأحسن صورته ، خلقه من طين وجعل له السمع والبصر والفؤاد ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وميز بين

ذريته باختلاف ألوانهم وألسنتهم ، وخلق منهم الذكر والأنثى ، وخلق لهم أرواحاً فيها مختلف الانفعالات النفسية من الرضى والغضب ، والفرح والحزن ، والحب والبغض ، والهمة والقصد ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، صور الإنسان في أحسن تقويم حسناً لا مزيد عليه ، فمن يخلق ويصور ويبدع هو الله سبحانه وتعالى ، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجوداً وهو مكابرة للمعقول والمحسوس ، ومعاندة للفطرة المستقيمة .

لذلك فقد زين الله تعالى هذه الصورة بنعمة العقل وهي أجل نعمة ، فأكرمه وشرفه على سائر الخلق ، فبها يدرك وجود الله تعالى ، ويتدبر في كونه ، ويعلم آلائه وإحسانه ، فخلق الإنسان بتركيبه العضوي والنفسي فيه من الآيات والبراهين التي تملأ القلب خشيةً ويقيناً ، وصدق الله إذ يقول : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر : ٢٨] .

ولعل أعظم الشكر أمام هذه المنن الربانية هو الإيمان بوجود الله تعالى وعبادته .

دلالة خلق الإنسان في سورة هود :

تحدثت سورة هود عن خلق الإنسان في قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [سورة هود : ٩-١١] .

هذه الآيات تتحدث عن طبيعة الجنس البشري حال النعماء والضراء ، فالإنسان إذا أنعم الله تعالى عليه بالسعة في الأرزاق والأموال والأولاد وبسطت عليه الدنيا ثم نزعها منه ، فأصابته مصائب ذهبت بهذه النعم فإنه يظل قانطاً من

رحمة الله قليل الشكر لله على نعمه ، وإذا وسع عليه رزقه بعد أن كان في ضيق وعسر إنه لفرح فخور فيفرح بما أعطي فخور بما نال لا يشكر الله على ما أتاه .

ثم يستثني الله من هذه الصفة الذميمة أهل الإيمان والعمل الصالح فإنهم حامدون شاكرون راضون بقدر الله تعالى على أي حال في السراء والضراء كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " (١) .

هذا الوصف الدقيق لحال الإنسان يؤكد أن الله هو الخالق له العالم بحاله ، وما سيكون عليه في السراء والضراء كما قال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك : ١٤] فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه كيف لا يعلمه ؟!!

(١) صحيح مسلم ، الإمام مسلم ، ح (٢٩٩٩) .

المبحث الرابع
دلالة آيات الأنبياء

من الطرق التي استخدمها السلف للدلالة على وجود الله تعالى استدلالهم بآيات الأنبياء ، التي أيدهم الله تعالى بها . فقد سماها الله تعالى بينات كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] .

وسماها سبحانه براهين كما قال تعالى عن آيتي موسى عليه السلام العصا واليد: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ [سورة القصص:٣٢] .

ووردت تسميتها أيضاً بصائر كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢] أي حججاً تبصر الناظر فيها بصدق الرسول .

فهذه الآيات البينات هنّ بصائر لمن استبصر بهنّ ، وهدى لمن اهتدى بهنّ ، يقول الإمام البيهقي رحمه الله : " وقد سلك بعض مشايخنا في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة " (١) .

ويقول ابن القيم رحمه الله عن هذه الدلالة : " وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله .. فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ، ودلالتها ضرورية بنفسها " (٢) .

---

(١) الاعتقاد ، البيهقي ، ص٤٥ .

(٢) الصواعق المرسلة ، ابن القيم ، (١١٩٧/٣) .

دلالة آيات الأنبياء على وجود الله تعالى :

تتمثل دلالة آيات الأنبياء على وجود الله تعالى من جهتين :

الجهة الأولى : أن هذه الآيات البينات من الأمور الخارقة لما اعتاد عليه الناس ، فهي أمور يعجز البشر عن الاتيان بمثلها فوقوعها دلالة واضحة على أن موجدها هو خالق هذا الكون ومدبره وهو القادر وحده على مخالفة سننه الكونية فإنقلاب العصا حية لموسى عليه السلام ، وعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام ، وإنزال مائدة من السماء على عيسى عليه السلام كلها أمور لا يمكن فعلها من البشر لمخالفتها السنن التي يسير عليها الكون فوقوعها للأنبياء دلالة على أن القادر عليها هو من أرسل هؤلاء الأنبياء وأيدهم بها وهو الله سبحانه وتعالى .

" فانقلاب العصا حية أمر يدل نفسه على ثبوت صانع قدير عليم حكيم أعظم مما اعتيد من خلق الإنسان من نطفة فإذا كان ذلك يدل بنفسه على إثبات الصانع فهذا أولى " [1] .

الجهة الثانية : أن الله تعالى أرسل الرسل وأيدهم بهذه الآيات البينات تصديقاً لهم فيما يدعون إليه ، ودعوتهم هي ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة هود : ٥٠] فلما جاءوا بالدعوة إلى الله تعالى وتوحيده كانت الآيات تصديقاً لهم بوجود الله تعالى أولاً ثم استحقاقه للعبادة ثانياً . " وهذه طريقة السلف في الاستدلال على معرفة الصانع .. لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز ، وجب تصديقه على ما أنباهم عنه من الغيوب ودعاهم إليه من وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه " [2] .

---

(١) درء التعارض ، ابن تيمية ، (٤٤/٩) .

(٢) المرجع السابق ، (٣٥٢/٨) .

فالمعجزات إذن تدل على وجود الله تعالى من حيث إنها خارقة للعادة فلا يأت بها إلا الله ، ومن حيث إنها ظهرت على يد أنبياء دعوا إلى توحيد الله والإيمان به .

آيات الأنبياء الواردة في سورة هود :

ورد ذكر الآيات البينات في سورة هود في سياق القصص القرآني للأنبياء عليهم السلام ، حيث قص الله تعالى علينا ما كان بين الأنبياء وأقوامهم وما أيدهم الله به من الآيات وهي :

١- سفينة نوح عليه السلام :

بعث الله نوحاً إلى قومه فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، دعاهم ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، فما آمن معه إلا قليل ، فلما أنباءه الله تعالى أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا عليهم رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، فاستجاب الله له فأمره بصنع السفينة فصنعها عليه السلام من الأخشاب والمسامير قال تعالى : ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة القمر : ١٣] ، ومع بساطة التركيب إلا أنها استطاعت الثبات في أمواج من الماء كالجبال قال تعالى :﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة هود : ٤٢]، فلم تتحطم ولم تغرق بل نجا من عليها من البشر والدواب فكانت آية عظيمة كما قال تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة العنكبوت : ١٥] .

قال الطبري رحمه الله في تفسيرها : " وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين وحجة عليهم " (١) .

فالله تعالى هو من تولى أمرها ورعايتها حتى استوت على الجودي فبقاؤها وسلامة من فيها دليل على وجود الله تعالى الذي حفظها ورعاها كما قال تعالى : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة القمر : ١٤] .

٢- ناقة صالح عليه السلام :

من الآيات العظيمة التي أيد الله بها أنبياءه آية صالح عليه السلام وذلك أن قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة عشراء من صخرة صماء ، فدعا صالح عليه السلام ربه فاستجاب له فأخرجها لهم وهم ينظرون وولدت ولدها حال خروجها . قال لهم صالح : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة هود : ٦٤] .

فخلق ناقة عشراء من صخرة صماء لا يقدر عليه إلا رب الأرض والسماء .

٣- البشارة بإسحاق عليه السلام :

ذكر الله تعالى في سورة هود قصة أضياف إبراهيم عليه السلام من الملائكة ، وبشارتهم لزوج إبراهيم عليه السلام بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قال تعالى :

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة هود : ٧١-٧٢] .

فسارة عليها السلام تعجبت من حملها لوجود مانع الحمل وهو تقدمها في السن فهذا أمر خارج عما ألفه الناس ، ولكن وقوع ذلك وحصول الولد منهما

---

(١) جامع البيان ، الطبري ، (٣٧٢/١٨) .

وقد بلغت من العمر عتيا دلالة على وجود الله تعالى الذي أكـــرم ســـارة وجعـــل النبوة في ذريتها ، ولا ريب أن كرامات الصالحين هي من آيات الأنبياء وبراهين صحة دينهم .

يقول شيخ الاسلام رحمه الله : " إن آيات الأولياء هي من جملة آيات الأنبياء فإنها مستلزمة لنبوتهم ، ولصدق الخبر بنبوتهم ، فإنه لولا ذلك لما كان هـــؤلاء أولياء ولم تكن لهم كرامات " (١) .

مما سبق يتضح أن آيات الأنبياء طريق صحيح لإثبات وجود الله تعالى .

(١) النبوات ، ابن تيمية ، ص ٢١٩ .

الفصل الثاني

دلالة العناية على وجود الله تعالى

مفهوم دلالة العناية :

يراد بدلالة العناية عناية الله تعالى بما خلق ، فقد خلق الله هذا الكون بما فيه في غاية الاتقان والإحكام ، وبما يتوافق مع الطبيعة الإنسانية ، فالله تعالى أحب أن يعبد فخلق الخلق ، وكلف الإنس والجن بعبادته ، وجعل ما سواهما من المخلوقات مسخر للإنسان ليقوم بالعبادة على أكمل وجه ، فخلق الأرض ودحاها وثبتها بالجبال لكي لا تميد ولا تتحرك ، وخلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، لتنتظم له حياته ومعاشه ، وأنزل له من السماء ماء ، فأخرج به نباتاً مختلفاً ألوانه ، وبنى فوقه السماء سقفاً محفوظاً وزينها بالنجوم لتكون له هداية وإرشاداً ، وسخر له البحر ليأكل منه لحماً طرياً ، ويستخرج منه حلية يلبسونها ويخوضه بالفلك المشحون بأنواع البضائع .

فالكون كله بما فيه مسخر للإنسان ، ونِعم الله أكثر من أن تحصى وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النحل : ١٨] ، هذا التسخير هو من عناية الله تعالى بالإنسان .

وليست هذه العناية قاصرة على الإنسان وحده بل هي عناية بجميع المخلوقات فالله خلقها وتكفل بأرزاقها وهداها لما خلقت له كما قال سبحانه على لسان موسى عليه السلام : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة طه : ٥٠] .

فالله سبحانه وتعالى خلق جميع المخلوقات على هيئة تليق بها ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له ، وهذه الهداية هي هداية عامة مشاهدة في جميع المخلوقات .

وقد تضمنت سورة هود صوراً من عناية الله تعالى بخلقه على ما يأتي من مباحث .

المبحث الأول

دلالة العناية بإرسال الرسل ونصرهم

أعظم عناية بالبشرية أن الله تعالى أرسل إليهم رسلاً ، وأنزل معهم كتباً ، ليقوموا بما كلفهم الله به من العبادة على هدى وبصيرة ، وليردوهم إلى الجادة إذا انحرف بهم الطريق ، فالله من رحمته وعنايته بخلقه أبان لهم الحق ، ودعاهم إليه ، ولم ينزل بهم العذاب حتى أقام عليهم الحجة ، وأنزل معهم الكتب فيها نور وهدى ، وشرع لهم شرائع تكفل لهم حياة مطمئنة ، ينعم فيها الفرد ، وتأمن فيها الجماعة ، تراعي مصالح الخلق باختلاف أحوالهم . وقد اشتملت سورة هود على ذكر قصص الأنبياء الذين أرسلهم الله هداة ورحمة ، يهدون الضال ، ويقومون المعوج ، ويردون الناس من الشرك إلى التوحيد . وقد حوت تلك القصص دلائل على وجود الله منها :

أولاً / وحدة الدعوة :

من دلائل وجود الله تعالى أن الله تعالى قد أرسل جميع الرسل على اختلاف أزمانهم وتباعدهم بدعوة واحدة ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة هود : ٥٠] .

ووحدة العبارة في السورة بين جميع الأنبياء أمر مقصود أراد الله تعالى به أن يبين أن هؤلاء الرسل جميعاً مرسلون من عند الله سبحانه وتعالى ، ويظهر أيضاً صدق دعواهم في أن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى .

ثانياً / إخبارهم بالغيب :

ما ذكره الله تعالى من قصص الأنبياء هي من أنباء الغيب التي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها ولا قومه ، لذلك بعد أن قص الله قصة نوح عليه السلام قال : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [سورة هود : ٤٩] فهي أخبار سابقة لزمن النبي صلى الله عليه وسلم يوحيها الله إليه كما وقعت وكأنه يشاهدها ، هذه الغيبيات دلالة على أن المرسل لهذا النبي صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى الذي وسع كل شيءٍ علماً .

ثالثاً / إنزال الكتب :

أرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب هدايةً للناس ، ونوراً للقلوب ، وشفاءً للصدور ، ومنهجاً للحياة قال تعالى :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [سورة الحديد:٢٥].

ولعل أعظمها وأعلاها والمهيمن عليها هو القرآن الكريم فهو المعجزة الخالدة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : ((ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) [١] .

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، ح (٧٢٧٤) .

قال ابن حجر رحمه الله : " إن القرآن أعظم المعجزات ، وأفيدها ، وأدومها ؛ لاشتماله على الدعوة والحجة ، ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر " (١) .

دلالة القرآن على وجود الله تعالى :

١- إعجاز لفظه ومعناه :

بدأ الله تعالى السورة بذكر هذا الكتاب قال تعالى : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [سورة هود : ١] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : " محكمة في لفظها ، مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى .. من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه ، خبير بعواقب الأمور " (٢) .

وقال السعدي رحمه الله عنها : " هذا كتاب عظيم ، ونزل كريم ، أتقنت آياته ، فصيحة ألفاظه ، بهية معانيه " (٣) .

فهذا الكتاب بما فيه من حسن العبارة ، وسلامة الصياغة ، وما فيه من الأوامر والنواهي ، والقصص والأخبار ، والوعد والوعيد لا يمكن أن يأتي به إلا الله تعالى . ولذلك تحدى الله تعالى المشركين وهم أهل البلاغة والفصاحة والشعر أن يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم تحداهم بعشر سور من مثله فعجزوا ثم بسورة من مثله فعجزوا ولا يزال التحدي باقياً ببقاء القرآن ولم يستطع أحد أن يأتي بمثله .

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ، (٢٤٨/١٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٥٣٠/٢) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، (ص : ٣٧٦) .

وفي ذلك دلالة على وجود الله تعالى إذ الخلق كلهم إنسهم وجنهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله قال تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٨] .

٢- سلامته من الخطأ والنقصان :

من الدلائل على أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى سلامته من الخطأ والنقصان والتعارض ، فالناظر في آياته لا يجد خللاً ولا نقصاً وكلما زاد نظراً وقراءة وتدبراً رأى كماله وتمامه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة فصلت : ٤٢] بل ومما يحير الألباب أنه مع تطور العلم وتقدمه زمناً بعد زمن يرى الإنسان في كتاب الله ما يوافق تلك الحقائق العلمية المثبتة ، وهذا يؤكد أن هذا القرآن وحي من عند الله العليم الخبير سبحانه ، وصدق الله إذ يقول﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة النساء : ٨٢] .

٣- حفظه قروناً متطاولة :

من الدلائل على أن القرآن كلام الله تعالى حفظ الله له قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر : ٩] ولولا حفظ الله تعالى له لاندثر ، وحصل له من التحريف والزيادة والنقصان ما حصل للكتب السابقة ، وقد حفظه سبحانه لأنه أنزله ليكون باقياً إلى قيام الساعة ، فرسالته هي الرسالة الخالدة ، فهيأ له حفظة يحفظونه في صدورهم على مر التاريخ ، جيلاً بعد جيل ، وهيأ له كُتّاباً يكتبونه في السطور ، وأذن له بالانتشار في جميع أصقاع الأرض ، وفي هذا دلالة قطعية على أنه من عند الله تعالى .

فهذا الكتاب العظيم المعجز في لفظه ومعناه ، السالم من الخطأ والنقصان ، المحفوظ في الصدور والسطور أعظم دلالة على وجود الله تعالى .

رابعاً / تشريعات الأنبياء :

أرسل الله تعالى الرسل ليقيموا الحياة بالعدل والحكمة والرحمة ؛ لذلك شرع لهم تشريعات تحفظ حياة الفرد والجماعة ، وتوازن بينهما في تحقيق المصالح . وهذه التشريعات إنما سنها من خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم ويقيم أمرهم .

لذا حينما حاول البعض استبدال الشريعة الربانية بالقوانين الوضعية لم تستقم لهم الأمور ولم تنتظم لهم الحياة ، مما يدفعهم إلى تعديل تلك القوانين مرة بعد أخرى وفي هذا دلالة على عجزهم وعدم علمهم بما ينفعهم مهما بلغوا من العقل والفهم .

فمن الشرائع التي جاءت في سورة هود :

١- تحريم اللواط :

جاء ذلك في قصة لوط عليه السلام فقد كان قومه يعملون السيئات مع شركهم بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة هود : ٧٨] فكان أن عاقبهم الله عقاباً أليماً .

٢- تحريم التطفيف في المكيال والميزان :

ورد في قصة شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة هود : ٨٤] فقومه كانوا مع شركهم بالله تعالى أهل بخس وتطفيف مع ما أنعم الله به عليهم من الخيرات وكثرة الأموال والأولاد

فدعاهم شعيب عليه السلام إلى العدل وعدم الظلم قال :﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة هود : ٨٥] .

فعد الله تعالى التطفيف من الظلم ، والإفساد في الأرض ، وأمرهم بالعدل لتتحقق مصلحة الجماعة ، ولا تطغى مصلحة الفرد على الجماعة ، فشرع الله كمال وعدل ورحمة وهداية وصلاح وإصلاح لكل زمان ومكان ، وفي هذا دلالة على وجود الله تعالى .

خامساً : نصرة الأنبياء وهلاك الأعداء :

من الدلائل على وجود الله تعالى ما آل إليه حال أنبياءه من النصر والتمكين وهلاك أقوامهم بعذاب عام ، وبصفة لا يمكن لنبي أن يأتي بها إلا أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى وقد عرضت سورة هود أنواعاً من العذاب الذي أصابهم .

١- عذاب قوم نوح عليه السلام :

عذبهم الله تعالى بالطوفان فأغرقهم الله جميعاً بعد أن دعى عليهم نوح عليه السلام قال تعالى :﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة نوح : ٢٦] فاستجاب الله دعاءه ففتح عليهم السماء بماءٍ منهمر وفجر الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر فأهلكهم الله وأنجى نوحاً والقلة المؤمنة معه .

إغراق الأرض كلها لنصرة نوح عليه السلام ، واستجابة لدعائه دلالة واضحة على وجود الله تعالى الذي أيد نبيه ونصر دينه وأجاب سؤاله .

هذا العذاب العام بهذه القدرة الإلهية لا يمكن لأحد أن يأتي به سوى الله ، وكشف هذا العذاب أيضاً كان بنداء رباني للأرض والسماء قال تعالى : ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود : ٤٤] لأن الذي

أنزله هو القادر سبحانه على كشفه ورفعه ، هل من قادر على ذلك غير الله ؟ سبحانه العظيم في عليائه ، الرحيم بأنبيائه ، المؤيد لأوليائه ، المذل لأعدائه .

٢- عذاب قوم هود عليه السلام :

أرسل الله تعالى هوداً إلى قوم عاد لكنهم استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منّا قوة ، وجحدوا آيات الله فاستحقوا الهلاك قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة هود : ٥٨] .

فالله تعالى وصف عذابهم في السورة بأنه عذاب غليظ لكنه لم يبينه ، ولكن بينته آيات أخر .

قال تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الذاريات : ٤١-٤٢] .

وقال تعالى :﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة القمر : ١٨-٢١] .

وقال سبحانه : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحاقة : ٦-٨] .

فالله تعالى أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة أياماً متتابعة حتى جعلتهم هلكى كأنهم أصول نخل قد خوت ، هذه الريح من الذي يأمرها فتفعل ؟ إنه الله جل في علاه .

٣- عذاب قوم صالح عليه السلام :

أنزل الله هلاكه على قوم صالح عليه السلام بعد تكذيبهم له وعقرهم للناقة التي أخرجها الله لهم بعدما طلبوا إخراجها فعذبهم بالصيحة قال تعالى : ﴿وَأَخَذَ

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ [سورة هود : ٦٧-٦٨] .

قال البغوي رحمه الله في تفسير الآية : " وأخذ الذين كفروا الصيحة ذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً ، وقيل : أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا صرعى هلكى " (١) .

فهذا العذاب الشديد وهذه الصيحة التي أهلكتهم جميعاً كنفس واحدة في وقت واحد لا يمكن أن تكون إلا من القوي الجبار سبحانه وتعالى .

٤- عذاب قوم لوط عليه السلام :

عُرف عن قوم لوط اتيانهم الرجال دون النساء وهذا من أقبح القبائح وأرذل الرذائل فأنزل الله عليهم العذاب والهلاك قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [سورة هود : ٨٢-٨٣] .

قال السعدي رحمه الله في تفسيرها : " فلما جاء أمرنا بنزول العذاب جعلنا ديارهم عاليها سافلها أي قلبناها عليهم ، وأمطرنا عليهم حجارة النار الشديدة الحرارة ، متتابعة تتبع من شذ عن القرية ، معلمة عليها علامة العذاب والغضب وما هي من الظالمين الذين يشابهون لفعل قوم لوط ببعيد فليحذر العباد أن يفعلوا كفعلهم " (٢) .

---

(١) معالم التنزيل ، البغوي ، (٤٥٥/٢) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، (ص : ٣٨٦-٣٨٧) .

هذا العذاب العظيم باقتلاع مدنهم من الأرض إلى السماء ثم قلبهم على الأرض ثم يتبع ذلك حجارة من نار تصيب من خرج منهم هو عذاب لا يقع إلا من الله تعالى ذي القدرة العظيمة القاهرة .

٥- عذاب قوم شعيب عليه السلام :

لما رفض قوم شعيب دعوته إلى التوحيد وإلى العدل في الميزان والمكيال أصابهم ما أصاب من قبلهم من العذاب والنكال قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة هود : ٩٤-٩٥] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : " ذكرها هنا أنه أتتهم صيحة ، وفي الأعراف رجفة ، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة ، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها . وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه .. وها هنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم " [1] .

فإهلاك تلك الأمم ، بهذه العقوبات الشديدة العامة دلالة على أن مهلكهم واحد وهو الله تعالى ، لذلك جاء في خاتمة قصص الأنبياء في السورة ما يذكر بذلك قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة هود : ١٠٢] وهذا دليل بيّن على وجود الله سبحانه وتعالى .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٢/٥٥٧) .

المبحث الثاني
دلالة العناية بتيسير أسباب الرزق

مفهوم الرزق :

يراد بالرزق " كل ما ينتفع به سواءً كان مادياً : كالأموال من ذهب وفضة وحيوان وزرع .. ومأكول وملبوس ومشروب ومسكون ونحو ذلك . أو كان معنوياً كالمعارف والعلوم والمنزلة .. والعقل والذكاء وحسن الخلق " (١) .

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مئة وثلاثة وعشرين مرة غالبها في السور المكية ، وذلك لأن الرزق من الأمور الأساسية في حياة الإنسان ، فهو منشغل به وبتدبيره ، فجاء القرآن بآياته ليؤسس لعقيدة تبعث الطمأنينة في نفسه ، وهي أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأن ما قدره الله له من الرزق سيناله فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وأن هذه الأرزاق قسمة من عند الله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [سورة الزخرف : ٣٢] فيرضى بما قسمه الله له ، ويسلم قلبه من الغل والحسد ، فمن عناية الله تعالى بخلقه أن تكفل بأرزاقهم جميعاً . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝﴾ [سورة الزخرف : ٥٦-٥٨] .

فالله تعالى خلق الناس لعبادته ، فتكفل لهم بالرزق ليكفوا همه وينصرفوا إلى عبادته منشغلين به تعالى .

---

(١) السنن الإلهية ، عبد الكريم زيدان ، ص ٢٦٤ .

أنواع الرزق :

١/ الرزق العام : وهو ما يرزقه الله تعالى لجميع الناس لتستقيم به حياتهم فيعم الله به جميع الخلائق فيعطيهم كل ما يحتاجونه في معاشهم ، ويسهل لهم الأرزاق ويدبرها لهم .

٢/ الرزق الخاص : وهذا لا يؤتيه الله إلى لمن يحب من خلقه وهو الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع .

أسباب تيسير الرزق :

تكفل الله تعالى بأرزاق الخلائق ، لكنه أمر الإنسان بالسعي لكسبه مع اعتماد القلب على الله تعالى . قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك : ١٥] .

وقد جعل الله تعالى لتيسيره أسباباً منها :

١/ **تحقيق الإيمان** :

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف : ٩] .

فتحقيق الإيمان سبب في نزول البركات من السماء والأرض ، " والمقصود من الجمع تعددها ، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة .. وجماع معناها هو الخير الصالح الذي لا تبعة عليه في الآخرة هو أحسن أحوال النعمة " [١] .

(١) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، (٩/٢١-٢٢) .

فسنة الله تعالى قد جرت بالإحسان إلى المؤمنين به ، قال تعالى عن بني إسرائيل : " ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة المائدة : ٦٦] .

أي لو أنهم حققوا الإيمان الذي أُمروا به لأدر الله عليهم الرزق ، ولأمطر عليهم السماء وأنبت لهم الأرض ، فالإيمان بالله من أسباب تيسير الرزق للمؤمن .

٢/ الاستغفار والتوبة :

من أعظم أبواب الرزق والقوة والإمداد قال تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود : ٥٢] ، فإذا أحسن العبد التوبة والاستغفار فتح الله عليه أبواب الرزق .

يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسير الآية : " ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه ، وسهل عليه أمره ، وحفظ شأنه " (١) .

٣/ التقوى :

قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق : ٢-٣] ، والتقوى أن يتقي العبد عذاب الله بفعل الطاعات وما أمر به فإنه إن فعل كان ذلك جالباً للرزق . قال السعدي رحمه الله : " يسوق الله الرزق للمتقي ، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به " (٢) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٥٤٧/٢) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، (ص:٨٦٩) .

٤/ الصدقة :

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة سبأ : ٣٩] .

في هذه الآية يؤكد الله تعالى أن الرزق بيده هو الذي يبسطه ويقدره فمتى ما تصدق الإنسان فإن الله يخلف عليه هذا العطاء وهذا وعد منه سبحانه ، فالصدقة مفتاح جالب للرزق قال صلى الله عليه وسلم " ((ما نقصت صدقة من مال)) [١]

٥/ صلة الرحم :

ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في اثره فليصل رحمه)) [٢] .

فصلة الرحم من أسباب سعة الرزق والبركة في العمر .

دلالة الرزق على وجود الله تعالى :

قال تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴿٢٤﴾﴾ [سورة سبأ : ٢٤] وقال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر : ٣] وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الروم : ٤٠] .

فالله تعالى في الآيات السابقة يقرر تفرده بالخلق والرزق ، فكما أنه الخالق وحده فهو الرازق وحده ، وهذا دليل على وجود الله تعالى .

وهذا المعنى يبينه الله تعالى في قوله :

---

(١) صحيح مسلم ، مسلم ، (٢٥٨٨) .

(٢) صحيح البخاري ، البخاري ، ح (٢٠٦٧) .

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الملك : ٢١]

قال الطبري في تفسيره : " أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم " (١) .

ويقول السعدي رحمه الله : " الرزق كله من الله ، فلو أمسك عنكم رزقه فمن الذي يرسله لكم ؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم فكيف بغيرهم ؟ فالرزاق المنعم ، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة " (٢) .

فاستمرار النعم والرزق للعباد دلالة على وجود الله تعالى الذي يرزقهم وينعم عليهم .

دلالة الرزق في سورة هود :

قال تعالى : ﴿* وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة هود : ٦] .

في هذه الآية يذكر الله تعالى تكفله بأرزاق جميع الخلائق فما من دابة إلا عليه سبحانه رزقها ، قد كتبه في اللوح المحفوظ .

يقول الطبري رحمه الله في تفسيرها : " وما تدب دابة في الأرض إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها ، هو به متكفل وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها .. يعلم مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً والموضع الذي يودعها بموتها أو دفنها كل ذلك عند الله مثبت مكتوب " (٣) .

---

(١) جامع البيان ، الطبري ، (١٣١/٢٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، (ص:٨٧٧) .

(٣) جامع البيان ، الطبري ، (٣٢٤/١٢-٣٢٥) .

فهذا العلم المحيط منه سبحانه وتعالى بخلقه وبأرزاقهم ومآواهم ومماتهم دليل على عنايته بخلقه وأنه لم يخلق الخلق ويتركهم هملاً بل خلقهم وتكفل بأرزاقهم وهذا من رحمته بخلقه ، فالجميع أحاط بهم علم الله ، وجرى قلمه بما هو كائن لهم ، ووسعهم رزقه . قال تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة العنكبوت : ٦٠] .

قال ابن كثير رحمه الله : " أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها ، وييسره عليها ، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ، حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء ، والحيتان في الماء " [1] ، فكل الخلق قد اعتنى الله تعالى بهم خلقاً ورزقاً .

وهكذا تظهر عناية الله تعالى بخلقه فأعظم عناية هي عنايته بإرسال الرسل لهم ، وإنزال الكتب معهم ، وما شرع لهم من الدين ، وكتب لهم الغلبة إن آمنوا به وبرسله ، وقهر أعداءهم وأهلكهم ، واعتنى بهم بأن يسر لهم أرزاقهم وتكفل بها ، وأغناهم من فضله ، فسبحانه من إله رحيم ودود .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٥٠٩/٣) .

(الخاتمة)

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد الله تعالى أن منَّ عليَّ بإنهاء هذا البحث حول دلائل وجود الله تعالى في سورة هود .

وقد خرج البحث بعدة نتائج هي :

١/ دلائل وجود الله تعالى تندرج تحت نوعين من الدلائل وهما : دلالة الخلق ودلالة العناية .

٢/ تناول القرآن الكريم دلائل وجود الله تعالى في غالب سوره .

٣/ اشتملت سورة هود على نوعي الدلالة الخلق والعناية .

أما التوصيات التي خرج بها البحث :

فهي دراسة دلائل وجود الله تعالى في باقي سور القرآن الكريم مما يعضد بعضها بعضاً ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وليحيى من حيّ عن بينه ويهلك من هلك عن بينه .

(فهرس المصادر والمراجع)

١ الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين البيهقي ، ت : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٢ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، أحمد بن الحسين البيهقي ، ت : أحمد الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٣ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت : عبد الكريم الدريني ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٤ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م .

٥ تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، ت : عبد المحسن البدر ، مطبعة سفير ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

٦ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل ابن كثير ، ت : محمود حسن ، دار الفكر ، ١٤١٤هـ .

٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت : عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١،١٤٢٠هـ.

٨ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد جرير الطبري ، ت : عبد الله التركي ، دار هجر ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٩ الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، ت : أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ .

١٠ درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت : محمد

رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط٢ ، ١٤١١هـ .

١١ زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ت : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

١٢ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

١٣ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت : أحمد عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ .

١٤ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ت : محمد زهير ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

١٥ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٦ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن قيم الجوزية ، ت : علي محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي العسقلاني ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٧٩هـ .

١٨ فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

١٩ لسان العرب ، محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

٢٠ مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت : عبد الرحمن بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦هـ .

٢١ معالم التنزيل في تفسير القرآن ، الحسين بن مسعود البغوي ، ت : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ

٢٢ معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، ت : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .

٢٣ النبوات ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

(فهرس الموضوعات)

الفهرس	رقم الصفحة
المقدمة	٦٠١
الفصل الأول : دلالة الخلق على وجود الله تعالى	٦٠٤
المبحث الأول : دلالة الفطرة	٦٠٨
المبحث الثاني : دلالة الآفاق	٦١٤
المبحث الثالث : دلالة خلق الإنسان	٦١٧
المبحث الرابع : دلالة آيات الأنبياء	٦٢١
الفصل الثاني : دلالة العناية على وجود الله تعالى	٦٢٦
المبحث الأول : دلالة العناية بإرسال الرسل ونصرهم	٦٢٧
المبحث الثاني : دلالة العناية بتيسير أسباب الرزق	٦٣٦
الخاتمة	٦٤٢
فهرس الموضوعات	٦٤٦